قصة شعيب عليه السلام

- *** اسمه ونسبه:**
- هو: شعيب بن ميكيل بن يشحن، وذكره ابن إسحاق ... وقيل غير ذلك . والله اعلم .
- عن أبى ذر رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: " أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر "
- وكان بعض السلف يسمى شعيباً " خطيب الأنبياء " يعنى لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته .
- عن ابن عباس قال: كان رسول الله إذا ذكر شعيبا قال: " ذاك خطيب الأنبياء "

- *** سكن قوم شعيب بأرض " مدين " بالشام قرب قرى لوط .**
- وكانوا يعبدون " الأيكة " من دون الله . قال تعالى: (كذب أصحاب الأيكة المرسلين).
- كان أهل مدين كفار يقطعون السبيل ويخيفون المارة .
- وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون الكيال والميزان، ويطففون فيهما، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص .
- فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو نبي الله شعيب عليه السلام فدعاهم إلى:
- ١) عبادة الله وحده لا شريك له .
- ٢) ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم .
- ٣) وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم.
- فأمن بعضهم وكفر أكثرهم، حتى أحل الله البأس الشديد، وهو الولي الحميد.

- *** الدعوة إلى الله تعالى :**
- دعا سيدنا شعيب قومه إلى التوحيد، وترك ما يفعلون من المنكرات، وسجل القرآن الحوار الذي دار بينه وبين قومه : **[وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ* وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ* قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ* وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ]** {الأعراف:٨٥-٩٠ }.

- ـ نهاهم عن القعود بالطرق والصد عن الطريق الذي يؤدى إلى طاعة الله، وكانوا يتوعدون العذاب من آمن
- قال ابن عباس وغيره : كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه ويقولون : إنه كذاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر الآية .
- وقال أبو هريرة : هذا نهى عن قطع الطريق ، واخذ السلب وكان ذلك من فعلهم .

- الحوار بين شعيب وبين قومه قال تعالى:
- [وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ* بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ* قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ* وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ* وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ* قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ* وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] {هود:٨٤ – ٩٣} .

- قوله : { **إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ** } أي: بثروة وسعة في الرزق فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده، ففي هذه النعمة ما يغنيكم عن أخذ أموال الناس بغير حقها.
- وقوله { **بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ** } أي: ما يبقيه لكم من الحلال بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر خير وبركة مما تبقونه لأنفسكم من التطفيف والبخس والفساد في الأرض .

- * وفى سورة " الشعراء "دار هذا الحوار: قال تعالى:
- **[كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ* وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ* وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ* قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ* وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ* فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]** { الشعراء:١٧٦- ١٨٨} .

- **العذاب :**
- وظل سيدنا شعيب عليه السلام – يدعوهم الى توحيد الله ، وينهاهم عن مخالفته، ويذكرهم بنعمة الله وآلائه، ويحذرهم من شدة بأسه وقوة سطوته، وهو ينأون عنه وينهون عنه، ويسحرون منه، واستعجلوا العذاب !! قال تعالى: **[وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ]** { الأعراف :٩٠} .
- - وفى مقام أخر:**[وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ* فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]** {الشعراء:١٨٦ – ١٨٧} .
- - وقبل هذا قالوا : **[قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ* إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ* وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ]**
{ الشعراء : ١٣٦ - ١٣٧ } .

- *** فماذا حدث ؟**
- حبس الله تعالى عنهم الهواء سبعة أيام فهربوا من بيوتهم وخرجوا الى إلهاهم" الأيكة " فاستظلوا بظلها وطلبوا منها النصرة ورفع العذاب **!!** فأرسل الله عليهم سحابة أظلتهم، فظنوا أن فيها خيراً، ودنت منهم فظنوا بأن الخير قريب، فإذا بصيحة من السماء، ورجفة من الأرض، وأمطرت السحابة عليهم نارا وشررا كما قال تعالى: **[فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ]** {الشعراء:١٨٩ }
- وفى الأعراف: [**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ]** { الأعراف: ٩١ } .
- وقال: [**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**] {هود: ٩٤}.
- وفى سورة الحجر: **[وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ* فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ]**{ الحجر: ٧٩- ٨٠ } قوله تعالى: (جاثمين) أي ماتوا من الفزع والحرق وهم جلوس على ركبهم .

- * قال ابن كثير – رحمه الله تعالى: " وقد جمع الله عليهم أنواعا من العقوبات، وصنوفا من المثلات، وأشكالا من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات:
- ١- سلط الله عليهم رجفةً شديدة أسكنت الحركات .
- ٢- صيحةً عظيمة أخمدت الأصوات .
- ٣- ظلةً أرسل عليهم منها شررَ الناس من سائر أرجائها والجهات
- **أقول:** وفى هذا إنذار لكل غشاش باع ضميره بعد أن باع دينه، وسوف نذكر في نهاية قصة هؤلاء كيف يفعل الغش بأهله .. لعلنا نعود الى رحاب الله ونوقن بأن الله تعالى لكل منحرف بالمرصاد .

- *** ثم ماذا ؟**
- وبعد أن أهلك الله تعالى القوم، يصور القرآن العظيم هذا المشهد الأليم: **[الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ]** { الأعراف : ٩٢ } .
- وقال تعالى: **[كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ]** {هود :٩٥ } .
- وقوله **(كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا)** أي كأنهم لم يعيشوا فيها قبل ذلك .
- وبعد إن أصابهم ما أصابهم، مر عليهم سيدنا شعيب عليه السلام، فلما رأى حالهم وما أحل بهم خمدت الحركات، وسكنت الأصوات: قال:

[يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ] { الأعراف :٩٣} .

- أي: أديت إليكم ما أرسلت به فلا أسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به .

- * **التحذير من الغش والترغيب في القناعة والرضا :**

١) قال تعالى: (**ويل للمطففين**) الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والميزان.

- (**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**) يستوفون حقوقهم منها.
- (**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**) ينقضون فى الكيل والوزن .
- (**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**) قال الزجاج: المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والميزان .
- (**ليوم عظيم**) اى : يوم القيامة .
- (**يوم يقوم الناس لرب العالمين**) أي: من قبورهم للحساب .

٢) وعن نافع – اى مولى ابن عمر – قال: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم الى إنصاف أذانهم، وكذا التاجر إذا شد يده فى الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء .

٣) وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة .

- قلت: وشدد بعضهم في هذا الأمر، فلقد حكي ابن عبد السلام إن غصب الحبة وسرقتها كبيرة بالإجماع .. ولا تنظر الى صغر الحبة وقلة وزنها وتفاهة سعرها، ولكن انظر الى القلب الفاسد الذي حرك صاحبه لسرقتها.
- قال بلال بن سعد: لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى عظمة من عصيت، وفى الحديث: **" من غشنا فليس منا ".**

- ٤) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفلح من هُدي للإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع به " رواه الطبراني وصححه الألباني .
- - هذا، وسف الرماد خير من أكل الحرام، بل إن أكل الحلال أفضل من صيام وصلاة التطوع .
- قال إبراهيم بن ادهم : " أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار ".
- - ونظر الفضيل بن عياض الى ابنه وهو يغسل بضاعة قبل وزنها حتى لا يزيد وزنها على المشترى . فقال له : (فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة)، وذلك لان الدين المعاملة .

- ٥) عن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لي وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبلين من نار جبلين من نار. قلت: ما تقول ؟ قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان، كنت أكيل بأحدهما واكتال بالآخر. قال مالك بن دينار: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالأخر، فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالأخر ازداد الأمر عظماً وشدة، فمات في مرضه " .

٦) وقال بعض السلف: " أشهد على كل كيَّال أو وزَّان بالنار، لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله " .

- ٧) وقال بعضهم: دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها !! فلما أفاق قلت له: يا أخي ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال: يا أخي: " لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها " فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصا ؟ قال: لا والله، ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر ميزاني، فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصا ؟ !!